الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

Mohamed Boudiaf University of M'sila
Faculty of Humanities and Social Sciences

المستوى: السنة الثالثة ليسانس
التخصص: علم الاجتماع
قسم: علم الاجتماع

مطبوعة محاضرات
مقياس: العلم والأخلاق

طبيعة المقياس: سنوي: ☐ سداسي: ☒

إعداد الدكتور: بن جعفر رمضان
البريد الالكتروني: (المهني) ramdhane.bendjafer@univ-msila.dz

السنة الجامعية: 2022 / 2023

المحاضرة رقم (08) الأخلاق والتقدم العلمي المعاصر

8/ الأخلاق والتقدم العلمي المعاصر :

8-1/ تمهيد:

تعتبر الأخلاق والقيم الحميدة من الركائز الأساسية لبناء أساس الحضارات، وهي الوسيلة القائمة للمعاملة بين الناس والشعوب، حيث تُعبّر الأخلاق عن سلوك وتربية الإنسان والعادات الطيبة أو السيئة التي يتعامل بها مع الآخرين، فقد دعا الإسلام الحنيف منذ بدء انطلاق الدعوة إلى أهمية الأخلاق والتحلي بالصفات الحميدة، التي تمنح المسلم السلوك السوي والسليم، والتحلي بأخلاق الإسلام كالصدق والصبر والحلم والكرم والتصدق على الفقراء والتواضع، والتي تنعكس جميعها في حسن المعاملة مع الآخرين، وقد حثـّت الديانات السماوية السابقة التي آتت قبل الإسلام وجميع الأنبياء والرسل على حسن الخلق والالتزام بالأخلاق الحميدة، وقد تطرق الشعراء على ذكر مكارم الأخلاق الحميدة، وبيان دورها الكبير وتأثيرها الإيجابي في حياة وسلوك الإنسان، وبيان السلوك الأخلاقي السيئ الذي يجعل الإنسان غير محبوب ومكروهاً ممن حوله ويتجنبون التعامل والتقرب منه لسوء أخلاقه ورداءة خلقه معهم .

وأخلاق الإنسان مرتبطة بصلة وثيقة مع هذا التقدم والتطور التكنولوجي المعاصر، فلقد تغير المجتمع بشكل كبير مع تطور التكنولوجيا ، قبل ظهور التكنولوجيا الحديثة، كانت الحياة مرهقة وكانت الأعمال اليومية تستهلك الكثير من وقتنا، لكن اليوم يتم توفير فرص هائلة من خلال التقنيات التي تلعب دورًا مهمًا في حياة الإنسان، حيث تم تبسيط الوصول إلى التعليم والطب والصناعة والنقل وما إلى ذلك بسبب التكنولوجيا الحديثة، نظرًا للراحة والكفاءة التي توفرها التكنولوجيا، فقد تحسنت حياتنا بشكل كبير، حيث كان هناك وقت طويل يستغرق فيه تنفيذ مهمة بسيطة مثل غسيل الملابس معظم اليوم، بفضل التكنولوجيا الحديثة، تم رفع الكثير من الأعباء عن أكتافنا ولدينا المزيد من الوقت والطاقة للقيام بما نريد.

8-2/ الأخـــــلاق:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبة أجمعين ومن سار على هديه إلى يوم الدين.

يقول النبي (ص) ((**إنما بُعثت لأتممَ مكارم الأخلاق**)).

فكأن مكارَم الأخلاق بناء شَيَّده الأنبياء، وُبعث النبي (ﷺ) ليتم هذا البناء، فيكتمل صرح مكارم الأخلاق بِبعثته (ﷺ) ولأن الدِينَ بغير خُلق كمحكمة بغير قاض، كذلك فإن الأخلاقّ بغير دين عبث، والمتأمل في حال الأمّة اليوم يجد أن أَزْمَتَها أزمةٌ أخلاقية، لذلك نتناول في هذه السلسلة بعض المفاهيم الأخلاقية، وبعضّ محاسن الأخلاق التي يجب على المسلم أن يتحلى بهاء ومساوئ الأخلاق التي يجبُ على المسلم أن يتخلَّى عنها.

8-2-1/ الخـــلق لـــغـة:

هو السَّجيّة والطّبع والدّين، وهو صورة الإنسان الباطنية، أما صورة الإنسان الظاهرة فهي الخُلق، لذلك كان من دعاء النبي(ص) ((... وأهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، وأصرف عني سيّئها لا يصرف عني سيّئها إلا أنت)) (**رواه مسلم**).

ويوصّف المرء بأنه حسَنْ الظاهر والباطن إذا كان حَسَنَ الخَلق والخُلق.

8-2-2/ الخُلق اصطلاحًا:

عبارة عن هيئة في النفس راسخة تصدْرٌ عنها الأفعال بسهولة ويُسِرٍ من غير حاجة إلى فكر ولا رويّة، وهذه الهيئة إما أن تصدرٌ عنها أفعالٌ محمودة، واما أن تصدْرٌ عنها أفعالٌ مذمومة، فإن كانت الأولى كان الخُلق حَسَنا وإن كانت الثانية كان الخُلّق سِيّئا.

وهناك فرْقَ بين الخلق والتخلّق، إذ التخلق هو التكلف والتصنُّع وهو لا يدوم طويلا، بل يرجع إلى الأصل، والسلوك المتكلّف لا يسمّى خُلقًا حتى يصير عادةٌ وحالةً للنفس راسخةٌ، يصدر عن صاحبه في يُسر وسهولة، فالذي يصدُق مرة لا يوصف بأن خلقَه الصدقُ، ومن يكذِبْ مرَّةُ لا يقال إن خُلقَه الكذب, بل العبرة بالاستمرار في الفعل، حتى يصيَر طابًعا عاما في سلوكه.

8-3/ أهمية الأخلاق:

8-3-1/ أهمية الأخلاق ومكانتها في الإسلام:

يمكن تبيّن أهمية الأخلاق في الإسلام من عدة أمور منها:

أولا/ جعل النبي(ص) الغاية من بعثته الدعوة للأخلاق:

فقد صحَّ عنه(**ص**) ((إنما بُعِثْتُ لأتممّ مكارم الأخلاق)).

لقد بين رسول الله (**ص**) بهذا الأسلوب أهمية الخُلق بالرغم من أنه ليس أهمَّ شيء بُعث النبي(**ص**) من أجله فالعقيدة أهم منه، والعبادة أهم منه، ولكن هذا أسلوب نبوي لبيان أهمية الشيء، وإن كان غيره أهمّ منه، فإن قال قائل: **ما وجه أهمية الخُلق حتى تقدّم على العقيدة والعبادة؟** فكان الجواب: إن الخلق هو

أبرز ما يراه الناس ويدركونه من سائر أعمال الإسلام، فالناس لا يرون عقيدة الشخص لأن محلَّها القلب، كما لا يرون كلّ عباداته، لكنهم يرَوْن أخلاقه ويتعاملون معه من خلالها، لذا فإنهم سيُقيّمون دينه بناء على تعامله فيحكمون على صحته من عدمه عن طريق خُلقه وسلوكه، لا عن طريق دعواه وقوله، وقد حَدّثَنا التاريخ أن الشرق الأقصى ممثلاً اليوم في إندونيسيا والفلبين وماليزيا لم يعتنق أهلها الإسلام بفصاحة الدعاة، ولا بسيف الغزاة، بل بأخلاق التجّار وسلوكهم من أهل حضرموت وعمان، وذلك لما تعاملوا معهم بالصدق والأمانة والعدل والسماحة.

وان مما يؤْسَفُ له اليوم أن الوسيلة التي جذبت كثيرًا من الناس إلى الإسلام هي نفسها التي غدت تصرف الناس عنه، وذلك لما فسّدت الأخلاق والسلوك، فرأى الناس تباينًا بل تناقضًا بين الادّعاء والواقع !

ثانيا/ تعظيم الإسلام لحُسن الخُلق:

لم يجعل الإسلام الخلق سلوكًا مجرّدًا بل عده عبادةٌ يؤجر عليها الإنسان ومجالاً للتنافس بين العباد فقد جعله النبي(ص) أساسٌ الخيريّة والتفاضل يوم القيامة فقال: ((إن أحبّكم إليّ وأقربكم مني في الآخرة مجلسًا أحاسنكم أخلاقا، وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني في الآخرة أسوَؤكم أخلاقا الثرثارون المُتفَيْهقون المتشدقون)).

وكذلك جعَل أجر حسن الخُلق ثقيلاً في الميزان، بل لا شيء أثقل منه، فقال: ((ما من شيءٍ أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة مِن حُسن الخُلق))، وجعَل كذلك أجرّ حسن الخُلق كأجرٍ العبادات الأساسية مِن صيام وقيام، فقال: ((إن المؤمن لَيُدرِكُ بحسن الخُلق درجة الصائم القائم))، بل بلغ من تعظيم الشارع لحسن الخُلق أنْ جعله وسيلة من وسائل دخول الجنة، فقد سئل نبينا محمد (ص) عن أكثرٍ ما يُدخل الناسّ الجنّة؟ فقال: ((تقوى الله وحسن الخُلق))، وفي حديث آخرّ ضمِن لصاحب الخُلق دخول الجنة، بل أعلى درجاتها.

ثالثا/ الأخلاق أساس بقاء الأمم:

فالأخلاق هي المؤشّر على استمرار أمّة ما أو انهيارها، فالأمة التي تنهار أخلاقها يوشك أن ينهار كيانها كما قال الشاعر أحمد شوقي: **[وإذا أصيب القوم في أخلاقهم*** فأقِمْ عليهم مأتمًا وعويلا]**

ويدلّ على هذه القضية قوله تعالى :{ وَاذَا أَرَدْنَا أَنْ نهْلِكَ قَريَة أَمَرْنا مُترَفيهَا فَفْسَقُوا فيها فَحقّ عَلَيْهَا الْقَوْلَ فَدمَرْنَاهَا تَدْمِيرا } **(الآية 16 من سورة الإسراء)**

رابعا/ الأخلاق تزيد المودة وتنهي العداوة:

يقول الله تعالى { وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَّا السّيْئَةُ ادفع بالتي هي أَحْسَنْ، فَإِذَا الَذِي بنك وبينه عداوة عَدَاَة كأَنَه وَلِيّ حَمِيمَ } **(الآية 34 من سورة فصلت).**

ومن هنا قال: (إنكم لن تسَعُوا الناسّ بأموالكم، ولكن تسعونهم بأخلاقكم)، يقول أبو حاتم "رحمه الله" **" الواجب على العاقل أن يتحبّب إلى الناس بلزوم حسن الخُلق"** وتَرْكِ سوء الخلق، لأن الخُلق الحسّن يُذيب الخطايا، كما تذيب الشمس الجليد، وإن الخلق السيّئ لَيفسد العمل كما يفسد الخلّ العسل".

خامسا/ إن الخُلق أفضل الجمالين:

الجمال جمالان، جمال حسي يتمثل في الشّكل والهيئة والزينة والمركب والجاه والمنصب، وجمال معنوي يتمثل في النفس والسلوك والذكاء والفطنة والعلم والأدب.

وقد ذكر الله أن للإنسان عورتين، عورة الجسم وعورة النفس، ولكل منهما ستر، فستر الأولى بالملابس، وستر الثانية بالخُلق، وقد أمر الله بالسترين، ونبّه أن الستر المعنوي أهمٌ من الستر الحسي فقال: الله عز وجل **(يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) (الآية 26 من سورة الأعراف)**، فطهارةٌ الباطن أعظم من طهارة الظاهر.

8-4/ فوائد الأخلاق للفرد والمجتمع:

نجد من فوائد الأخلاق ما يلي:

1/ نشر الأمن والأمان بين الأفراد والمجتمع.

2/ المساهمة الجماعية في خلق مجتمع راق تسوده الألفة والمحبة بين كافة الناس.

3/ سيادة التعاون والتكافل الاجتماعي بين المجتمع.

4/ عطف الغني على الفقير.

5/ نبذ الفرقة والخلاف وما يمزق المجتمع.

6/ الالتزام بالقيَم والمبادئ الإسلامية السمحاء.

7/ المساهمة في خدمة المجتمع ورفع معاناته وتقديم ما يفيد للأمة والبشرية.

8/ تفعيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مشتملاً على أسسه وقواعده دون تنفير للناس أو تغييب للشريعة وتعاليمها.

9/ بذل الخير للناس بحب وسعادة غامرة، وتفعيل الإنتاج وثقافة البذل والعطاء بين المجتمع.

10/ بث روح التسامح ونشرها بين الناس تحت شعار['وَالْعَافِينَ عَنِ الناس]

8-5/ الأخلاق والتقدم العلمي:

من المسلّم به أنَّ العلم والأخلاق معا من أهم ركائز المجتمعات وعناصر نهضة الأمم والشعوب فالعلم يبني الأفراد والمجتمعات، ويسهّل لهم أمور حياتهم، والأخلاق تحصن الفرد، وتقوي المجتمعات، وتحميها، فالعلاقة بين العلم والأخلاق علاقة تكاملية، فلا علم له أثرٌ طيبٌ بدون أخلاق، ولا أخلاق صحيحة من غير علم يبصّر ويرشد، فالعلم العين المبصرة للأخلاق والقيم، والأخلاق والقيم هي الوعاء الحافظ والراعي للعلم.

ومن المفروض أن تكون الأخلاق أحد المعايير الضابطة للنشاط العلمي تماما كالمعايير القانونية والمالية والموارد البشرية، فالأخلاق تُحدد الاشتراطات المتعلقة بالنشاط العلمي مثل الأهداف والمجال الذي يتم البحث فيه، وطريقة تنفيذ النشاط العلمي، فمن غير الممكن أن يقبل البحث العلمي الأخلاقي شراء

أشخاص من عصابات الاتجار بالبشر من أجل القيام بالتجارب العلمية عليهم، أو أن ينظم عملية بيع الأعضاء البشرية أو زراعتها بشكل غير قانوني، كما أنه من غير الممكن أن يكون هناك عالَمٌ أخلاقي يقبل تصنيع سلاح مدمر للبشرية أو لتنفيذ عمليات إرهابية.

والحقّ أن التقدم العلمي المعاصر قد فرض مواجهات أخلاقية مع المتغيرات التي خلصت إليها الساحة العلمية، ولم يعد من الميسور إسقاط المواقف الأخلاقية والدعم الأخلاقي بل والديني تجاه المنجزات العلمية في عالمنا المعاصر، ولعل قضايا الإجهاض والاستنساخ ونقل وزراعة الأعضاء وما يسمى بإشكالية القتل الرحيم مثل قتل المرضى تخليصاً من الآلام المبرحة التي يعانون منها بعد إخفاق الطب في علاجهم أو قتل الأطفال المشوهين أو المختلين عقليا، كل هذه القضايا التي تثار بين الوقت والآخر على الرغم من بُعدها العلمي، لكن بعدها الديني والأخلاقي لا يُمكن الاستعانة به، ولهذا الشأن تقام المناقشات والمؤتمرات والندوات البحثية من أجل تناول المشروعية الأخلاقية والدينية لمثل هذه المتغيرات التي اتسمت بها الحياة العلمية، وهي متغيرات من شأنها أن تجعل حضور المسألة الأخلاقية في وقتنا الحاضر على نحو أكثر وضوحاً ودلالة مع كلّ تقدم جديد في مجال البحث العلمي فهي أمراً ضرورياً لابد منه.

ولو ألقينا نظرة عابرة على بيان أصحاب النزعة الإنسانية لوجدنا أنهم منذ البداية يؤكدون تمسكهم بالتكامل بين العلم والأخلاق من خلال الثقة الكاملة، بأن الموجود البشري له من القوة والإمكانيات ما يجعله قادراً على حل مشكلاته بنجاح، وسبيله إلى ذلك عقله ومنطقه ومنهجه العلمي الذي يعمل على توسيع وتعميق معرفته بالكون، مع التطلع إلى قيم أخلاقية تحتوي كل القيم الإنسانية وتستهدف سعادة الإنسان وحريته وتقدمه الاقتصادي.

ولكن يبدو جلياً للمتأمل في واقع فكرنا العربي المعاصر أنَّ هناك بعضاً من تياراته تنطلق من فرضية القطيعة المطلقة بين العلم والفلسفة، وبين العلم والأخلاق، ولعل أبرزها تيار الفلسفة التحليلية وأصحاب الوضعية المنطقية الذي حدد مهمة الفلسفة في التحليل المنطقي للقضايا والعبارات وحدها، باعتبار قضايا العلم وحدها يمكن التحقق من صدقها أو كذبها بينما قضايا الفن والميتافيزيقا والأخلاق لا يمكن البرهنة عليها، إنها قضايا تخرج من نطاق العلم ولا تدعي شيئاً يمكن نقده أو إثباته، وهي أقرب إلى كونها مجرد تعبيرات عن مشاعر ذاتية خالصة، ومع ذلك لا يمكننا تجاهل ما يستلزمه التقدم العلمي من متطلبات وشروط أخلاقية لا غنى عنها لكل مجتمع لعل أهمها حرية البحث العلمي ورعايته وتشجيع العاملين به وتحريره من كل العوائق التي تعوق انطلاقاته، فالتّقدم العلمي يكرس مجموعة من القيم الأخلاقية التي لا غنى عنها لكل مُجتمع لعل أهمها الحرية والاستقلال والكرامة واطلاق الطاقات الإبداعية الإنسانية وتحقيق الرفاهية والسلام والمشاركة الفعالة في بناء الحضارة، والعلماء من ناحية أخرى عليهم التحلي بمجموعة من الخصائص الأخلاقية من أهمها التسامح والشجاعة البحثية التي تفرض عليهم قيودها أو توجهاتها أو شروطها، مع الإحساس بالمسؤولية المجتمعية تجاه المجتمع الإنساني الذي يعملون به.

وختاماً قد لا يختلف اثنان على ضرورة اتخاذ نظرية أخلاقية إلى الحضارة كما يرى **آلبرت شفيتزر** في فلسفته الحضارية، فالأعمال المبتكرة والفنية والعقلية والمادية لا تكشف عن آثارها الكاملة الحقيقية إلا إذا استندت في بقائها ونمائها إلى استعداد نفسي يكون أخلاقيًا حقًا، وقد يرى الفيلسوف أنّ القيمة الوحيدة التي يمكن تناول الحضارة من خلالها تكمن في القيمة الدينية وحدها، وبالتالي ترتبط هذه القيمة بكلّ الدلالات الأخلاقية التي لا غنى عنها.

فقد أصبح العلم في العصر الحديث أهم أجزاء الحياة المعاصرة، ولم يعد هناك منحى من نواحي الأنشطة الإنسانية في كافة الميادين الزراعة والصناعة...الخ إلا ويعتمد في تخطيطه وتطويره على معطيات العلم والتكنولوجيا، ولا شك أن مما نشاهده ونحسه بأعيننا وبالأجهزة ما هو إلا القليل من الكثير.

وترتبط المجالات العلمية والتكنولوجية بميادين أخرى على نفس المستوى من الأهمية تشمل علوم الفضاء والبيئة والذكاء الاصطناعي والهندسة الوراثية والحاسبات فائقة القدرة وثورة الاتصالات والمعلومات وهندسة المعرفة والعلوم الإحصائية وسباق البحث والتسلح في الميادين النووية والكيميائية والبيولوجية.

والعلم الذي يدعو إليه الإسلام هو العلم الشامل للجانبين الديني والمادي، **أما الجانب الديني** فهو **العلوم** التي مصدرها الوحي **"القرآن والسنة النبوية المطهرة"** وكلاهما يُعْنَى بأمور العقيدة والتصور العام للوجود والنفس الإنسانية والمجتمع، **أما الجانب المادي** فهو علوم البحث في ظواهر الكون والحياة هو **علوم الرياضيات والفيزياء والكيمياء والجيولوجيا والنبات والحيوان وعلوم البحار والفلك** بكل جوانبها البحتة والتطبيقية.

والعلم الشامل الذي يحث الإسلام على تحصيله لابد أن يكون نافعا ولا يخلو من فائدة، ومقياس النفع في التصور الإسلامي هو صالح مجموع الأمة إقامة أمر الدين، ولذلك حث الإسلام على طلب العلم النافع وجعل منه فرضاً لازماً على المسلمين، فقد روى عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ص) (طلب العلم فريضة على كل مسلم) (**رواه ابن ماجه**).

وقد حث الإسلام البشر على البحث العلمي وعلى التفكر والتدبر والتعقل، وحثهم على التعلم وأن يذكروا الله في جميع الأحوال، والعلم في الإسلام يتناول كل موجود لكي يهتدي إلى سر الله في خلقه وتكوينه وحقائق الوجود من حوله... فهو جملة المعارف والخبرات والمعلومات التي يدركها الإنسان، ولا بد أن يقترن العلم بالأخلاق والقيم، حيث إن الخلق من النفحات الإلهية، به يكتب التوفيق وعليه تقام دعائم النجاح، والفرد بخلقه لا بعلمه، وكذلك الأمم ليست بعلومها وفنونها، بل بأخلاقها وضمائرها لا تصلح إلا بهما ولا تشاد عظمتها إلا عليهما.

فالعلم إذا دخل دائرة الأخلاق اتجه نحو الخير والبناء والنمو والإثمار، واذا خرق نطاقها ولم يتقيد بها أصبح أداة شر وهدم وتدمير، وعلى هذا فمن صالح البشرية والحضارة أن تحيط الأخلاق بالعلم وأن تسيطر عليه وترعاه وتقومه إذا أخطأ ليسيرا معاً نحو الخير والكمال.

ولقد تقدمت العلوم والتكنولوجيا تقدمًا نتج عنه انقلاب خطير بعيد الأثر في الحياة والعمران، فقد قضى على قضايا المكان والزمان، وأتى على معجزة الاتصال بين الدول، فجعلها طوع إشارته، وكشف

المجهول وجفف المستنقعات، وأروى الصحارى، ومهد الأدغال، وأباد أكثر الأمراض، فتح أبوابا كانت مغلقة ووصل إلى نتائج ما كانت لتخطر على بال إنسان، وتمكن من السيطرة على مصادر الطاقة المتجددة وغير المتجددة في أشكالها المختلفة، فنمت الثروة العامة نموًا لم يحلم به أحد من قبل، وطغت الاختراعات، وكثرت الاكتشافات، فالسفن العملاقة وحاملات الطائرات على الماء، والطائرات النفاثة في السماء، والسيارات والسكك الحديدية على الأرض وتحتها والأسلاك الكهربائية والقنوات الفضائية تطوق هذه الكرة، والأمواج اللاسلكية تعج في الأجواء حاملة على أجنحتها الأخبار والأنباء والصور، وأصبح كثير من الناس في هذا العصر يتمتعون بكثير من الرخاء والرفاهية والترف لم يحلم بها القياصرة في الأزمان الماضية.

لنطرح على انفسنا هذه الأسئلة:

هـل هـذا التقدم كاف؟ وهل توافرت فيه كل الوسائل لتسهيل الحياة وتوفير العناء؟

وهل قضى على المشاكل الاجتماعية التي يعانيها المجتمع الإنساني؟

إن العلم وتطبيقاته قد أعطى للأمم قوة وأعطى لتاركيه الفقر والذل، ويستيقظ أهل الفكر فيرون أن العالم بعد العولمة قد اقترن بالكوارث والحروب، وقالوا إنها تفتقت عن العقول التي لا قلوب لها ويتهمون بعض الجامعات بأنها تخرج أفرادًا هدفهم اقتحام الطبيعة بالقوة وافتراس أي عوائق تعوق التقدم والسيطرة والهيمنة، أما الحب والأخلاق والرحمة والحنان فقد يكون لها موضع هو في الأدوار الدنيا، وهي من أجل ذلك مغلوبة على أمرها، والقيم الإنسانية الأخلاقية تتردد على الألسنة كلاما ولكن لا مقام لها عند التنفيذ.

إن هذا التقدم العلمي الرهيب قد زاد المشاكل الاجتماعية تعقدّا، وسلب راحة البال وطمأنينة النفس ويمكن القول: إنه وضع الحضارة الإنسانية في مركز خطر، ولذا قامت الصرخة في أمريكا ودول أوروبا تدعو إلى تدعيم الدراسات العلمية البحتة ببعض العلوم الإنسانية وبشيء من الأدب والفن يلين صلابتها ويرد إليها بعض الأحاسيس الإنسانية التي نزعم بأنها فقدت.

وقد سارت كبريات الجامعات التكنولوجية في تطعيم الدراسات العلمية البحتة ببعض مناهج القيم والأخلاق والأديان على أن يفسح الدارسون المجال للعلوم الإنسانية مكانًا للعلم الطبيعي، فهي من فروع العلم والمعرفة التي لا تتم إلا بها.

إن الإنسان في تقدمه لم يحسب حسابًا للخلق ومعاني الحق والواجب والمثل العليا، وقد قصرت حكمته على تحقيق الرغبات والنوازع الإنسانية المحضة، والذي يخشاه كبار الفلاسفة والحكماء وعلماء القيم والأخلاق أن الحكمة البشرية إذا أفلست في النهوض بعبء إدماج العلم والتكنولوجيا في أغراض الروح والخلق، اتجهت هذه القوى إلى التدمير والتخريب والقتل بدلا من الاتجاه إلى التنمية والإنتاج والاستثمار والخير والحق والجمال.

ولقد أصبح شعار هذا العصر عصر العولمة (المادية فوق كل شيء)، حيث طغى هذا الشعار وتضاءلت أمامه قوة الناس المعنوية وتلاشت بها الروابط الأدبية، وانكمشت الرحمة والعطف والشفقة في أغلب وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة، فبعض من البشر هذا الزمان ينغمسون في غمار حب

السيطرة والهيمنة والزهو والغرور يهزؤون من العفة والاستقامة والفضيلة والصلاح ولا ينظرون إلى الحياة إلا من ناحية المتع والمسرات.

وعلى هذا فالعلم وحده لا يكفى لوضع حد لشرور العالم وآثامه، والعلم وحده لا يكفي للخلاص من المتاعب والصعاب المحيطة به من كل جانب، لذا يجب أن يقوم العلم على عناصر روحية ومعنوية تعلي من شأن المثل العليا والأخلاق السامية، كما يجب أن تقوم الحضارة على المعنويات، وتوفيق بين الماديات والروحيات.

حيث يقول المفكر الإسلامي الكبير **الأستاذ رشدي فكار**[لن يستطيع المجتمع الإسلامي أن يقدم للعالم طائرات أسرع ولا طرقا أنعم ولا سيارات أجود ولا صناعة أفضل، لكن بإمكان المجتمع الإسلامي أن يقول للعالم [سأعطيكم إنساناً أكثر توازناً واعتدالاً أبر برا واحساناً، إنساناً يرتبط بمبادئه يهاب ويخشى خالقه إنساناً يحترم الإنسان ويعمل لإسعاده، لا يهمه الارتقاء بناطحات السحاب واستنزاف الخيرات وتلويث البيئة.

لقد وضع المفكر رشدي فكار اللبنة الناقصة في صرح الحضارة الغربية، إنها الإنسان المتوازن بين أشواقه الروحية ونزعته العقلية وعواطفه وغرائزه.

إن التقدم العلمي التكنولوجي، والرقي الأخلاقي والإنساني لا يسيران في خطين متوازيين بالضرورة ولا يستلزم وجود أحدهما وجود الآخر، فليس من الضروري أن يكون التقدم العلمي التكنولوجي رديفا للرقي الأخلاقي، فلكل منهما بواعثه الخاصة، فبواعث التقدم العلمي والتكنولوجي قد تجد تربتها أحيانا على الأقل في الأنانية وحب السيطرة المادية على الآخرين.

فالتقدم التكنولوجي الهائل الذي عرفه ميدان التسلح في العالم على سبيل المثال جاء على خلفية الصراع الشرس بين معسكرين اجتهد كل منهما في ابتكار أنجع الوسائل الحربية لإفناء الآخر، فحب الإنسان المتفلّت من زمام الأخلاق لا يقف أمام شهوة السيطرة والتملك، ولا يهمه في ذلك الوازع الانساني ولا الديني ولا الأعراف و القيم الاجتماعية، ما يهمه فقط هو الانسياق وراء شهوة التحكم والسيطرة التي أعمت أعمت عيون وقلب الإنسان الغربي المتقدم تكنولوجيا، فداس على كل الاعتبارات الأخلاقية والمخاطر البيئية في مسيرته.

فالسلاح النووي الرهيب الذي أصبح هاجسه يُرهب العالم أجمع بخطر الفناء، وأصبحت أشعة تجاربه و تسرباته تنتشر في الأجواء بشكل غير مسبوق في تاريخ البشرية ويقضي على الملايين من البشر سنويا ويضطر كل البشر أن يعيشوا في قلق وخوف مستمرين من أن تصيب خلاياهم وباء نووي ينهي حلمهم في الحياة، كل ذلك جاء بدافع التغلب والسيطرة بين المعسكرين الغربي والشرقي.

أما بواعث الرقي الأخلاقي فتجد تربتها فيما تزودت به النفس من قيم روحية، وسماحة إنسانية واستعداد للتضحية من أجل تلك المبادئ، وكل ذلك يتسم بنكران الذات، وتشجيع المحبة بين البشر بدل الصراع وتشجيع التكافل بدل التطاحن، وتقوية علامات المحبة بدل الخصام، وكل هذه المبادئ لا علاقة لها بالتقدم المادي التكنولوجي المزعوم، بل هذه المبادئ كلها مباعدة للنزعة المادية في الإنسان، وتقترب كثيرا من المسحة الروحية المتجذرة عند الانسان المتخلق.

خلاصة:

في الأخير نصل إلى أنّ التقدم العلمي والتكنولوجي ينبغي أن يصاحبه تزايد في الوعي وحضور للأخلاق وضرورة التمييز بين المادي والمعنوي الروحي فيما يتعلق بمختلف عمليات التطور العلمي، فمستقبل الإنسان مع هذا التطور العلمي والتقني الهائل المنضبط بضوابط قيمية وروحية وأخلاقية، فالعلم والأخلاق شيئين ضروريين يعملان على تحقيق غايات إنسانية عليا يسعى إنسان هذا العصر إلى تحقيقها والوصول إليها.

المصادر والمراجع:

1/ المصادر:

1-1/ القرآن الكريم:

1- { وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نهْلِكَ قَرِيَة أَمَرْنا مُتَرَفِيهَا فَفْسَقُوا فيها فَحقّ عَلَيْهَا الْقَوْلَ فَدمَرْنَاهَا تَدْمِيرا } (الآية **16** من سورة الإسراء)

2- { وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَّا السّيْئَةُ ادفع بالتي هي أَحْسَنْ، فَإِذَا الَذِي بنك وبينه عداوة عَدَاَة كأنه وَلِيّ حَمِيمَ } (الآية **34** من سورة فصلت).

3- { يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ).(الآية **26** من سورة الأعراف}

1-2/ الأحاديث النبوية الشريفة:

1- ((إنما بُعثت لأتممَ مكارم الأخلاق)) حديث نبوي شريف، رواه أبو هريرة، المحدث : الألباني، المصدر **:** صحيح الجامع، ص **2833**، **أخرجه** أحمد (8939)، والبخاري في ((الأدب المفرد)) (273) واللفظ لهما، والبزار (8949) باختلاف يسير.

2- ((وأهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، وأصرف عني سيّئها لا يصرف عني سيّئها إلا أنت) (**رواه مسلم**).

3- ((إن أحبّكم إليّ وأقربكم مني في الآخرة مجلسًا أحاسنكم أخلاقا، وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني في الآخرة أسوَؤكم أخلاقا الثرثارون المُتفَيْهقون المتشدقون)).

4- ((إن المؤمن لَيُدرِكُ بحسن الخُلق درجة الصائم القائم))،

5- روى عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ص) (طلب العلم فريضة على كل مسلم) (رواه ابن ماجه).

المراجع:

1/ الكتب والمقالات باللغة العربية:

1- محمد بن ابراهيم الحمد الزلفي: **الأسباب المفيدة في اكتساب الأخلاق الحميدة**، دار ابن خزيمة، ط1، الرياض، السعودية، **1997**، بدون ص.

2- سعيد عبدالعظيم: **الأخلاق في حياة ودعوة الأنبياء عليهم السلام**، التصنيف محاسن الأخلاق، مقال منشور بتاريخ 2003/07/21 ، موقع الكتروني إسلام ويب، الشبكة الإسلامية.

3- عباد بن عباد الخواص الشامي أبي عتبة: **الأخلاق من القرآن الكريم**، خطبة، موسوعة الشحوذ

2/ الروابط الإلكترونية:

1- https://www.alukah.net/culture

2 -https://www.yabiladi.ma/articles/details/25467